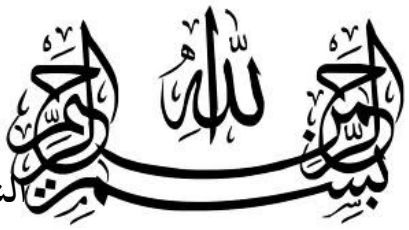

الأحد 16/2/2014 الشيخ الطبيب محمد خير الشعَّال

أبواب الفرج

رد المظالم

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة، وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً وعملاً متقبلاً يا أكرم الأكرمين. أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه. نسألك علم الخائفين منك، وخوف العالمين بك.. وبعد:

هذا درس جديد في سلسلة دروس **أبواب الفرج**، ونحن نسأل اللهَ تعالى ببركة عملنا بها أن يُعجِّل لنا بالفرج وأن يجعله محفوفاً بألطافه الخفية.

إن قلب المؤمن معلق بالله عز وجل متيقن أنه لا يُجَلِّي ما نزل به من هَمٍّ وكرب وبلاء إلا الله عز وجل لكنه أدباً مع الله عز وجل يلتزم أسباب وأبواب الفرج.

وعلى هذا الأساس عُقِدَتْ هذه السلسلة، حيث أن الله جعل لنا أبواباً للفرج يُطلب من كل واحد منا فرداً كان أو أسرة أو مجتمعاً أن يقرع هذه الأبواب كلها، فإن لم يستطع فبأكثرها، فإن لم يستطع فببعضها وعلى أقل تقدير أن يقرع باباً من هذه الأبواب.

درس اليوم باب جديد من أبواب الفرج ولعله يكون من أوسع الأبواب التي نقرعها وهو خاص بكل واحد فينا وبكل أسرة من أسرنا وبالمجتمع عامة، عنوان درسنا **رد المظالم**.

القارئ لآيات القرآن الكريم ولأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم والمستعرض لنصوص هذا الدين يلاحظ أمراً قاله أهل التربية الروحية وهو: **الخُلُقُ الذي تُخَالِقُ به الخَلْقَ يعاملك به الحق**، ولهذا القول أدلة ونصوص كثيرة.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ**» [مسلم].

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، «**الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ ارْحَمُوا أَهْلَ الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ**» [أبو داود والترمذي].

عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ **أَنَّ هِشَامَ بْنَ حَكِيمٍ، وَجَدَ رَجُلًا وَهُوَ عَلَى حِمْصَ يُشَمِّسُ نَاسًا مِنَ النَّبَطِ فِي أَدَاءِ الْجِزْيَةِ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «إِنَّ اللهَ يُعَذِّبُ الَّذِينَ يُعَذِّبُونَ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا»** [مسلم].

من مجموع هذه النصوص نعرف أن الجزاء من جنس العمل فمن يسر يسر الله عليه، ومن عسر عسر الله عليه، ومن رحم رحمه الله، ومن بغى وظلم أرسل الله من يظلمه ويبغي عليه، ومن أساء نال ثواب إساءته ومن أحسن نال جزاء إحسانه.

قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: 102].

وقال الله في آية أخرى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [السجدة: 21].

مائتين وتسع وثمانين مرة ورد الحديث عن الظلم في القرآن الكريم ففي كل صفحتين من القرآن هناك حديث عن الظلم.

في كتب الحديث التسعة المعتمدة جاء الكلام عن الظلم سبعمائة مرة.

إذا أساء الابن مع والده ولم يرضخ لكلامه ولم يتبع إرشاداته فإن الأب ينبهه بالكلام اللطيف أو بالهدية فإذا لم يفهم الابن على أبيه قام الأب باستخدام أسلوب العقوبة حباً فيه، فإذا كف الابن رفع الأب هذا العقاب، فالعقوبة ليست هدفاً وإنما وسيلة ليرجع العبد عما هو عليه من الظلم والإساءة، ولله المثل الأعلى فهو رب العالمين ينزل العقوبة بعد الرخاء بسبب ظلم وترك أمر من العبد فإذا عاد العبد رفع العقوبة عنه.

لكن إذا نصح الأب ابنه بالكلمة الطيبة والهدايا والمكافآت، ثم عاقبه لمرات ومرات ولم يفهم عليه تركه إلى الأيام التي ستكون عليه قاسية جداً، وكما يقال: **المعلمون أربعة: المعلم والصاحب والكتاب والزمن.**

قال العلماء: **العباد ثلاثة:**

1- **قوم جاؤوا إلى الله بالامتنان:** فمن إكرام الله لهم ونعمه أقبلوا عليه حياء منه.

2- **قوم جاؤوا إلى الله بسلاسل الامتحان:** فمن لم يفهموا على الله بنعمه أرسل الله لهم رسائل لطيفة كأن يسمع من الخطيب قصة وكأنه يصفه بها... فإذا لم يفهم عليه أرسل الله إليه امتحاناً ليرجع به.

3- **قوم تركهم إلى النيران:**

يا أيها الإخوة البلاء عندما ينزل ما هو إلا رسالة لكل واحد منا وكل أسرة وللمجتمع كله، فإذا رجعنا إلى الله برد المظالم فهذا عمل يعبر عن فهمنا لِمُراد الله وأوامره فترفع العقوبة عنا، أما إذا بقي العباد على ما هم عليه فكأنهم لم يفهموا على الله في مراده فإنه سيزيد عليهم العقوبة.

✓ شاب يعمل في صيانة شبكات الكمبيوتر عبر التعاقد مع الشركات وكانت بنود إحدى العقود أن يأتي إلى الشركة مرتين في الأسبوع على أجر ثابت، وكل قطعة يشتريها من السوق يأتي بفاتورة تحوي ثمنها ليأخذ ثمن ما دفع.

في أثناء شراء الشاب لبعض القطع قال له البائع: هذه القطعة سعرها 1000 ليرة لكن لكونك زبون لدينا فإنني سأبيعها لك بـ900، وسأكتب لك في الفاتورة 1000 فتكون بهذه الطريقة ربحت 100 ليرة سورية.

مرت الأيام والشاب يأخذ هذه المبالغ، وفي يوم سمع في أحد المجالس أن هذا الأمر لا يجوز فأتاني ليسألني عما عليه أن يفعل فأخبرته بوجوب رد المال الزيادة إلى صاحب الشركة حصراً ولا ينوب عن ذلك صدقة تعطى إلى الفقراء على نيته ما دام صاحب المال موجوداً وإن لم يُخرج هذا المال طوعاً فسيُخرج ابتلاءً.

ذهب الشاب إلى مسؤول المشتريات وأخبره بما كان منه فقال له: نحن نعلم بصنيعك ولا مانع لدينا فلك أن تأخذه، فقال الشاب: أنا وأنت موظفان عند صاحب الشركة فخذ المال ورده إلى صاحب الشركة.

عَنْ جُنْدُبِ بْنِ سُفْيَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا أَسَرَّ عَبْدٌ سَرِيرَةً إِلَّا أَلْبَسَهُ اللهُ رِدَاءَهَا إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ**» [الطبراني في الكبير].

وَمَهما تَكُن عِندَ اِمرِئٍ مِن خَليقَةٍ وَإِن خالَها تَخفى عَلى الناسِ تُعلَمِ

✓ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِنَّ رَجُلًا حَمَلَ مَعَهُ خَمْرًا فِي سَفِينَةٍ يَبِيعُهُ، وَمَعَهُ قِرْدٌ**»، **قَالَ**: «**فَكَانَ الرَّجُلُ إِذَا بَاعَ الْخَمْرَ، شَابَهُ بِالْمَاءِ ثُمَّ**

بَاعَهُ»، قَالَ: «فَأَخَذَ الْقِرْدُ الْكِيسَ، فَصَعِدَ بِهِ فَوْقَ الدَّقَلِ»، قَالَ: «فَجَعَلَ يَطْرَحُ دِينَارًا فِي الْبَحْرِ وَدِينَارًا فِي السَّفِينَةِ، حَتَّى قَسَمَهُ» [الإمام أحمد].

✓ اضطرت عائلة للاستئجار عند صاحب بيت فطلب منهم مبلغ 45,000 ليرة مع أن بيته كان يؤجر بـ 30,000 ليرة مستغلاً لحاجتهم.

وبالمقابل صاحب بيت جاءته عائلة لاستئجار بيته الذي يثمَّن بعشرين ألف فقال لهم وبكل خجل: أنا مضطر جداً لهذا المال ولن آخذ منكم إلا 18,000 ليرة.

فهذا المسيء سيحاسب في هذه الأزمة وبعدها، والرجل الذي يحاول أن يرفع الظلم والأذى عن الناس سيكافأ والجزاء من جنس العمل.

✓ شاب كانت له زميلة في الجامعة تبادلا الأحاديث والهدايا وكلمات الإعجاب ومع كثرة المجالسة صار بينهما حب فطلب الشاب من أهله أن يخطبوا له الفتاة، فوعده أهله بذلك لكن بعد التخرج، فبقي الشاب مصاحباً للفتاة ثم ضاق به الأمر فطلب منها أن يعقدا عقداً بغير علم أهله أو أهلها فوافقت -جهلاً منها أو خبثاً أو غباءً- وأمضيا سني الجامعة الثلاث مع بعضهما يلتقيان من غير علم أحد، ولما تخرجا طلبت الفتاة من الشاب أن يعلن زواجهما فقال الشاب: إن أهلي يقولون: إن مستوى معيشتكم لا يليق بمستوى معيشتنا ثم تركها ومضى..

لا بد لكل منا أن يراجع نفسه إن كان مخطئاً فما لم نرفع الظلم من بين بعضنا البعض فالأمر عسير ورد المظالم باب من أبواب الفرج.

وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

والحمد لله رب العلمين.